عبد الله الحيدري

وسمات منهجه النقدي

قراءة في بحث العلاقة بين الإعاقة والإبداع

تأليف

أ.د محمد عبدالحميد خليفة

أستاذ الأدب والنقد ورئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة دمنهور

الملخص:

يتناول هذا البحث أعمال عبد الله الحيدري الأدبية والنقدية، محاولًا عن طريقها استجلاء أهم سمات منهجه النقدي في البحث الأدبي كاعتماده على المنهج النقدي التاريخي، وطرقه موضوعات قلما يتصدى لها بالبحث إضافة إلى الموازنة خاصة وأن موضوع السيرة الأدبية كان محور أعماله ونتاجه، وقد حاولنا في ذات الوقت الكشف عن هذه السمات من خلال أحد بحوثه التي تناولت العلاقة بين الإعاقة والإبداع في الأدب السعودي المعاصر.

الكلمات المفتاحية:

الإعاقة ، المنهج النقدي التاريخي ، الموازنة ، الإبداع ، السيرة الأدبية .

Abdullah Al-Haidari
Characteristics of his critical approach
Read the research on the relationship between disability and creativity

dr. Muhammad Abdel Hamid Khalifa

Abestract:

This research deals with the literary and critical works of Abdullah Al-Haidari، trying to clarify the most important features of his critical approach to literary research، such as his reliance on the historical critical method، and his leaving out topics that he rarely addresses in research، in addition to the budget، especially since the topic of literary biography was the focus of his works and products، and we have tried at the same time. Time revealed these characteristics through one of his researches that dealt with the relationship between disability and creativity in contemporary Saudi literature.

Keywords:

Disability، historical critical approach، budget، creativity، literary biography.

مقدمة

لا شك أن الذي يعمل بمجال الصحافة بوجه خاص والإعلام بوجه عام يمتلك مهارات نوعية في تقصي الخبر وإعداده ، وفي تحقيقاته يختار من الجمل والمقاطع ما يلخص الموضوع، ثم يقدم بعد ذلك خبره أو تحقيقه الصحفي بحرفية وانتقاء يحقق بهما هدفه فتنجح رسالته الإعلامية.

كذلك الباحث الأكاديمي الذي امتلك أدوات المنهج العلمي، وموضوعية الموقف البحثي، معتمدا على استقراء علمي يصل بموجبه إلى نتائج إيجابية بناء على استقراء منطقي ومنظم، ليخرج البحث العلمي على يديه مرتبا ومنظما وموضوعيا فيحقق هو الآخر _ أي الأكاديمي_ رسالته العلمية النقدية.

ولقد استطاع _ في ظني _ عبدالله الحيدري الباحث الأكاديمي والإعلامي المحترف أن يفيد من كلتا الخبرتين، وأن يختار من الحقلين المعرفيين ما يجعل كتاباته تتسم بالعلمية والثراء بخاصة حينما يكتب بحوثا أدبية ونقدية أكاديمية مركزة في مجال النقد والأدب، وأرى أن مجال (السيرة الأدبية) كان أكثر أنواع التخصصات الأدبية تمثيلا لهاتين الخبرتين في مجالي الصحافة والمؤسسة الأكاديمية، ذلك لأن الكتابة في تحقيقات صحفية عن مسيرة عطاء أحدهم تتماس وجنس السيرة الذاتية أو الغيرية.

فأفاد منهما في تحقيق الرسالتين العلمية الأكاديمية والصحفية الإعلامية، وهذا ماتشهد به مؤلفاته العلمية المتعددة، إذ كان لها طابع العلمية التوثيقية من جهة، وطابع المعرفية من جهة أخرى. وفي ظني أن من يهتم بهذا الحقل الأدبي السيري إنما يهمه_ في الدرجة الأولى_ الإنسان، وعلو البعد الإنساني في مكون عبد الله الحيدري، وإيمانه بالقيم الإنسانية جعلاه مهووسا بالوقوف على أهم قيمة وجودية ومحورها الرئيس ألا وهو الإنسان الذي حاولت _ ولا تزال_ كثير من الفلسفات تهميشه وإقصاءه كما حاول ذلك البنيويون، وأصحاب المذاهب الفلسفية

المغرقة في العلمية والبرجماتية. فمجال السيرة يعطي فرصة للباحث فيها للتعرف على مسيرة الحياة، وكيف يمر الإنسان في خلال حياته بأطوار ومراحل تصهره وتثقله أم تقضي عليه وتميته.

وأظن أن هذا من جانبي استنتاج مبكر لمن يطالع ماتركه عبدالله الحيدري من آثار أدبية، كما أظن أن كل من يقلب مؤلفاته سيقف على ذات النتيجة كما وقفت عليها في السطور السابقة.

ورغم دوران جل بحوثه العلمية حول حقل السيرة، فإن من يفحص تلك الأعمال محاولا ممارسة نقد النقد لا يعدم موضوعات أخرى فجرها متعمدا في تضاعيف بحوثه السيرية أو جاءت في سياقات مختلفة في أثناء ترجمته لأحدهم، أو تقويمه لترجمة أحد الباحثين لإحدى سير المثقفين أو المبدعين.

والإبحار في عالم الحيدري العلمي والأدبي يكشف لنا موضوعات كثيرة ومتنوعة تصلح مداخل إلى عالمه الغريب.

من هنا فإنني آثرت أن أتناول في هذه الورقة قضيتين تبدوان من حيث الشكل منفصلتين ، والحقيقة أن هناك وشائج تجمع بينهما .

والمتصفح لنتاج الحيدري يستطيع أن يقف على مجموعة من السمات تحكم منهجه في البحث والكتابة في أية موضوع لذا حاولت في المبحث الأول رصد هذه السمات جملة.

أما الثانية فقد اخترت فيها موضوعا نقديا بذاته تكاملت فيه شتى العناصر النقدية، وتحققت في الآن ذاته سمات منهجه التي أجملتها سابقا.

المبحث الأول

في التنظير

الكتابة التي تمتاز بالأصالة ويكتب لها الشيوع والانتشار هي كتابة صدر فيها صاحبها عن إيمان بالموضوع المدروس، ولا شك أن الباحث المتمرس في الكتابة العلمية إنما هو نتاج قراءات وثقافات محددة، له قناعاته العلمية ومكوناته المنهجية وذوقه الأدبي وحسه النقدي، يختمر كل هذا في المكون العلمي لشخصيته الباحثة ليلمس القاريء أثر هذا المكون الثقافي إنما يدرك أن هناك سمات معينة تلون أو قل تؤطر كتاباته.

من هنا فإنني أحاول النظر عن طريق رؤية شمولية بانورامية لأهم السمات الحاكمة في كتابات الحيدري بشكل مجرد، ثم نرى تجلياتها التطبيقية في المبحث التالي.

هناك سمات بعينها يمكننا رصدها بيسر في منهج كتابات الحيدري العلمية، نذكرها إجمالا ، ثم سنراها ماثلة عندما نتناول في البحث أحد الموضوعات اللافتة، الذي سوف يكشف بدوره عن تجليات هذه السمات حينما تتضح في التطبيق.

أولا: أولى هذه السمات في منهج الحيدري:

التعرض لموضوعات غير مطروقة:

وإذا كنا في هذه النقطة يكتفي فقط في هذا المبحث بالإشارة إلى سمات منهج الحيدري بشكل نظري على أننا كما وعدنا آنفا سنقوم بكشف هذه السمة في تجليها التطبيقي في المبحث الثاني.

وكل ما نستطيع قوله هنا هو أن الباحث لا يعيبه أن يتخصص في لون واحد من الدراسات تنتمي إلى جنس أدبي معين، أو فترة تاريخية معينة، لكن مايرفعه عن غيره ويجعله متميزا عن الآخرين قدرته على التنوع في الموضوعات ،

وإحاطته بلون من النصوص لم يتعرض لها أحد من قبله لذلك وقف أمام أدباء لم يحظوا بالدراسة من قبل، وهذا بعينه ما يحتاجه الباحث العلمي في الأدب خاصة بعدما رأينا أدباء بعينهم أو نصوص أدبية بذاتها استهلكها النقاد غير مرة ،إذ أعيد درسهم من قبل عشرات من النقاد، وكان الأولى البحث عن موضوعات جديدة بكر لم تحظ بالدراسة من قبل.

إن هذا اللون من الدراسات القائمة على غير المطروق ولا المستهلك، والباحثة عن الجديد، إنها دراسات تضخ دماء جديدة إلى شرايين البحث الأدبي المعاصر، وتكشف عن المواكبة المطلوبة لدى الباحثين المعاصرين ذلك لأن المستجدات والمتغيرات على مستوى النص المكتوب والمسموع والمشاهد والتي كانت نتيجة طبيعية لثورة المعلومات والاتصالات يقتضي من الباحث المعاصر سرعة مواكبة المستحدث بوصفه شكلا جديدا يحمل مضامين فعالة ومؤثرة في حركة الأدب.

ثانيا: اعتماده على المنهج التاريخي في البحث إطارا وممارسة.

والمنهج التاريخي في البحث في العلوم الإنسانية بعامة ، والبحث الأدبي على وجه الخصوص من آصل المناهج وأبعدها أثرا في بحوثنا الأدبية والنقدية ، فلقد أسهم المسلمون الأوائل في وضع قواعده الأولى حيث عني المحدثون بتوثيق الأحاديث الشريفة سندا ومتنا، لينتقل هذا المنهج إلى المؤرخين والأدباء كما نجد ذلك عند الطبري وأبي الفرج الأصفهاني مثلا وذلك للتحقق من صحة نسبة الخبر إلى صاحبه، ثم توسع فيه النقاد حينما اهتموا بذكر جمل من حيوات الشعراء ونسبهم وقبائلهم كما فعل صاحب طبقات فحول الشعراء، وابن قتيبة، وغيرهما.

ثم يأتي الإسهام الأوربي الحديث في بلورة المنهج التاريخي في البحث الأدبي على يد سانت بيف، وهيبوليت تين، وبرونكير، إضافة إلى لانسون، وهكذا

رأينا تطبيقات نقادنا العرب، تأثرا بذاك المنهج على يد طه حسين والعقاد ومحمد مندور وغيرهم.

وتأتي السيرة الأدبية بوصفها جنسا أدبيا يقوم على السرد كشتى أشكال السرود الأدبية فيعظم من قيمة ذلك المنهج التاريخي الذي تنكر له أرباب عصر الحداثة وما بعدها، ثم عادوا إليه مرغمين حينما اكتشفوا محورية دور السياق الخارجي والإطار التاريخي في فهم النص ومن ثم تحليله والحكم عليه.

ثالثا: المنهج الإحصائي:

وهو واحد من المناهج التي تعد إفرازا بالتطور في شتى المناهج العلمية والعلوم الرياضية، وقد اعتمدعلى أسلوب الإحصاء العلمي الحديث في شتى حقوله كمعرفة تجريبية وإنسانية، وقد أسهم الأسلوب الإحصائي في تقديم صورة أقرب إلى الدقة في وصف الظاهرة وقياسها، ذلك لأنه يقيس معدل الزيادة أو النقصان كما يسهم في تحليل الظاهرة والحكم عليها.

ولقد أفاد النقد الأدبي الحديث والعلوم اللسانية من الإحصاء في وصف الظاهرة الأدبية واللغوية حتى إننا لنجد مصطلحات كمثل الأسلوبية الإحصائية استطاعت أن تكشف معدلات التكرار في أسلوب أديب ما، ومن ثم تضيف نصوص للحقول الدلالية التي يمتاح منها في مفرداته وأدبه.

هكذا أصبح الاعتماد على الإحصاء واحدا من أهم السمات العلمية في الدرس الحديث لتحقيق الموضوعية في الدرس والدقة في الحكم.

رابعا الموازنة:

ويعد سبيل الموازنة بين عملين: نصية /أدبية من أهم الأدوات العقلية في الدراسات التطبيقية، إذ تكشف الموازنة أو المقارنة عن سمتي التفرد أو الاشتراك، فكما أنه بضدها تتميز الأشياء، فإن اعتماد الباحث على الموازنة بوضعه عملا إزاء الآخر يمكنه من كشف مواضع التأثير والتأثر والوقوف على مواضع الاختلاف والاتفاق مما يسهم في انجلاء الرؤية، ولا يستطيع ناقد استثمار الموازنة سبيلا في

التحليل إلا من امتلك شمولية الرؤية ودقة الملاحظة. ولعلنا نتذكر أن نقادنا العرب القدماء قد فطنوا إلى هذه الطريقة في كشف ما للشاعر أم لغيره من سبق وتفرد، فكانت المقارنة عنوانا رئيسيا يشير إلى الطريقة التي يسلكها الناقد في درسه التطبيقي ككتاب الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحتري، والموازنة بين الشعراء مثل ذكي مبارك.

خامسا: ثنائية التنظير والتطبيق:

لقد امتلأت المكتبة العربية الأدبية بكتب وبحوث أغرقت في التنظير الأدبي وقل منها ما يدلف إلى النص ذاته ليمارس عليه الناقد مقارناته النقدية بحسب المنهج النقدي الذي يتبناه ويراه ناجحا في الوصول إلى نتائج يهدف إليها، ولقد أحسن النقاد الذين جمعوا بين المنحيين فطرح النظرية ثم التطبيق عليها كان سبيلهم في إعطاء القاريء صورة مقاربة للموضوع المدروس أو الأديب محل الدرس. ثم يأتي التطبيق هو الآخر على منحيين آخرين: أولهما التلخيص الموجز لإعطاء القاريء صورة مجملة عن العمل. وثانيها الشروع في تحليل النص جزئيا ليجمع الناقد في النهاية بين منهجي الاستنباط والاستقراء.

هذه هي أهم ما يلفت قاريء نتاج الحيدري المتعدد. وأحب هنا أن أنبه على نقطتين: أولاهما أن هذه السمات التي ألمحنا إليها لا يقع عليها الباحث منفصلة بعضها عن بعض بل مندغمة معا في المركب النقدي للحيدري وما جعلنا نفصلها هو فقط لأجل تمييزها وتبيانها لأجل الدرس التحليلي. والنقطة الثانية أننا سوف نحاول في المبحث الثاني التعرف عليها مطبقة من خلال اختيارنا لموضوع من الموضوعات النقدية التي كتبها الحيدري في أحد كتبه ، لتتجلى لنا الصورة كاملة.

المبحث الثاني

في التطبيق

سنحاول في هذا المبحث اختيار واحد من الموضوعات اللافتة التي توقف إزاءها بالبحث والدرس النقدي عبد الله الحيدري على أنني سأتخذ من هذا الموضوع نموذجا للدراسات النقدية الأدبية التي مارسها الحيدري وأحاول من خلالها الانطلاق منها إلى شتى دراساته الأخرى وكتبه، محاولة مني إثبات ما طرحته سابقا في المبحث الأول من سمات تميز منهجه في البحث بعامة، وإيمانا بأن هذه السمات تطبع شتى دراساته كلها. وبصيغة أخرى فإن ما سوف أتعرض له في إحدى دراساته النقدية الشعرية يتحقق من هذه السمات وتنسحب في الآن ذاته على شتى دراساته وأكون بهذا قد حاولت تحقيق أمرين: الأول: الوقوف الجزئي عند دراسة بعينها أمارس فيها نقد النقد، والأمر الثاني: استجلاء بقية أعماله وإعطاء القارىء صورة عامة عن أعماله فضلا عن صورة أخرى مفصلة عن واحد منها، ولسوف يجد القارىء ذلك ماثلا من خلال تضاعيف المبحث.

**

الإعاقة والأدب:

قضية المعوقين من القضايا التي تهمني لأمرين:

الأول: شخصي إذ إنني أنتمي لهذه الفئة، وكنت أبحث دوما عن دور الأدب رواية وشعرا في التوقف عند المعوق أو الإعاقة موضوعا أدبيا، ومدى إسهام الأدب بوصفه تعبيرا إنسانيا عن الإنسان في تصوير شخصية المعوق من جهة أو قضية الإعاقة من جهة أخرى ومدى ما يسهم به الأدب في التنوير والوعي لأن الأدب من أهم وظائفه التعبير، فضلا عن إمكانية إسهامه بطريقة إيجابية في دعم قضايا المعوقين بوصفهم فئة تعد جزئا من النسيج المجتمعي، مورس عليها التهميش

زمنا وكان الأولى أن يحظوا بنصيب وافر في الموضوعات الأدبية خاصة في ظل الرعاية والوعي المتعاظم محليا ودوليا بحقوق المعوقين ودمجهم في المجتمع واستثمار طاقاتهم في عملية التنمية المستدامة.

ولقد لفتني بحث عبد الله الحيدري الذي جاء يعالج تلك القضية في كتابه (في حقول الشعر دراسات في الشعر السعودي المعاصر) من خلال العناوين الآتية:

_العلاقة بين الإبداع والإعاقة.

_ الإعاقة في الأدب العربي.

_ الإعاقة في الأدب السعودي.

_ حديث المعوقين عن الإعاقة.

_حديث الأسوياء عن المعوقين.

_ وباديء ذي بدء، فإنني أرصد ماذكرته في السمة الأولى من تميز الباحث الذي يعالج موضوعات منوعة وبعضها غير مطروقة قبلا، فعبد الله الحيدري في ظني أنه حقق هذه السمة في شتى كتبه وأذكر من هذه الموضوعات اللافتة:

١) التوقف عند فن صياغة التغريدات على تويتر، وقد خصص لهذا كتابا سوف يأتي التعرض له، وفيه توقف أمام كير من الأخطاء الشاعة في التغريدات التي أضحت إحدى وسائل التواصل الاجتماعي عبر اللغة.

٢) التعرض لقضايا الإرهاب وعلاقاتها بالأدب ومدى تفاعل الأدب السعودي خاصة مع هذه القضية، يقول:

(وقد اخترت الشعر؛ نظرًا لكونه من أهم الأجناس الأدبية التي تفاعلت مع ظاهرة الإرهاب في المملكة تنديدًا ومعالجة ، وشارك معظم الشعراء السعوديين في ذلك، ومن هنا تأتي أهمية رصد تفاعلهم مع قضايا الوطن المهمة، وفي المقدمة الأحداث الإرهابية الأليمة التي هزّت المجتمع وروّعته.

كما أن تناول هذا الشعر في هذه المناسبة الخاصة يكشف أهمية وظيفة الشعر ودوره في كل زمان ومكان، ويؤكد حضور الشعر وارتفاع صوته، وألا صحة لمن يرى التقليل من أهميته في هذا الزمن لصالح أجناس أدبية أخرى)(١). ومعلوم أن موضوع الإرهاب في الأدب من الموضوعات التي قل تعرض الباحثين لها .

٣) كذلك التعرض للمخترعات الحديثة والتقنية التكنولوجية في أدب الأدباء المعاصرين بالمملكة السعودية. يقول:

(التفت عدد من الشعراء السعوديين لأبناء المجتمع، يدعونهم إلى الالتحاق بركب العلم، وبيان دوره في تحقيق الآمال والطموحات التي يصبو إليها الجميع فوصفوا «بعض الاختراعات التي وصل إليها الغربيون بفضل العلم كالإذاعة، والمطابع، والطائرة، والباخرة ، والسيارة»، وغيرها من المخترعات الحديثة. ومن الباحثين الذين تحدثوا عن هذا الجانب الدكتور حسن بن أحمد النعمي)(٢)

٤) ونتوقف هنا عند أهم هذه القضايا التي لم يطرقها كثيرون من النقاد، ومنها قضية الإعاقة وعلاقاتها بالإبداع.

ويلاحظ الحيدري بداية فقر البحوث النقدية في الأدب السعودي حول هذا المجال فيقول:

(ليس ثمة دراسات عُنيت بأدب المعوّقين في المملكة العربية السعودية، أو بصورة المعوّق في الأدب السعودي. وقد استفسرت من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فكتبوا إلي نفيدكم أنه بالبحث في قاعدة معلومات الرسائل الجامعية المتاحة لدى المركز تبين عدم توافر معلومات عنه)(٣) ولم يتوقف الحيدري عند ظاهرة ندرة الكتابة عن فئة المعوقين، بل يسهم في تتبع الأسباب التي حالت دون الاهتمام بهم على المستويين الاجتماعي والأدبي في المملكة، فيقول:

(ومن الأسباب النظرة الخاصة لفئات المعوّقين لدى شرائح عديدة في المجتمع، ونقص الوعي عند أسرهم، وندرة المجالات التي يمكن أن ينخرطوا فيها ويسهموا بالعمل فيها؛ نظرًا لأن غالبيتهم لم يتعلموا، ولا نستثني من ذلك إلا

المعوقين بصريا الذين كانت هذه العاهة منقذة لكثير منهم من الجهل إذ أضطر أهاليهم – نتيجة استحالة الإفادة منهم في الرعي أو الفلاحة، أو أي حرفة أخرى إلى توجيههم نحو دور العلم في أماكن متفرقة من المملكة، وكان أن برز منهم كثيرون، والأمثلة أكثر من أن تعد.

إضافة إلى الجهل الذي كان يعاني منه غالبية المعوقين حركيا، وهو الذي أدى إلى أن يصبحوا عبئاً ثقيلاً على أسرهم، وأدى إلى تعطيل طاقاتهم التي كان من المتوقع أن تؤتي أكلها لو تعلموا وتحولوا إلى منتجين في المجتمع وفاعلين، ثم – وهذا هو المهم – مطالبين بحقوقهم مثبتين للمجتمع أنهم ليسوا عالة، بل هم جزء فاعل فيه)(٤)

****

ـ والملاحظ في دراسات عبد الله الحيدري بعامة تأثره الشديد بالمنهج التاريخي وما يقتضيه هذا المنهج من لون معين من البحوث النقدية، والمطالع لانتاجه العلمي بعامة يلحظ بروز هذا العنصر الذي تمثل في عنايته بجنس السيرة الأدبية الذي أفرد له جل بحوثه وكتبه، حتى إن بقية كتبه وإن لم يكن موضوعها الرئيس هو السيرة فإنه كثيرا ماتجذبه الدراسة التاريخية فيتوقف إزاء أديب أو غيره مستعرضا حياته باختصار، وسيرته العلمية والعملية إضافة إلى ما كتبه من دراسات بيوجرافية متخصصة، ولقد أخذ فن السيرة الاهتمام الأكبر منذ أن اختار هذا الجنس الأدبي في أطروحته الأكاديمية للدكتوراة، يتتبع ما كتب في هذا الفن سواء في الأدب السعودي أو في الأدب العربي بعامة متوقفا أمام الفنون الأخرى المحايثة في أدب المذكرات والاعترافات واليوميات.

ومن هنا تبرز لنا ظاهرة الاستقصاء التاريخي لدى أي موضوع أدبي يكتب فيه، إذ يبدأ من الانطلاقة الأولى مسايرا حركة التطور الطارئة على الموضوع

المدروس حتى إذا وصل إلى موضوعه أخذ في بحثه بحثا فنيا وجماليا بعد وضعه موضعه في التسلسل التاريخي لهذا الموضوع.

وقد خص كتابا بعينهم بالدرس المفصل تاريخيا كما فعل مع **علي جواد الطاهر(٥)، وكامل دمنهوري(٦)، وعبد العزيز السبيل(٧)**، كما درس تاريخ فن السيرة لدى أدباء كثيرين.

ونرانا قد بدأنا في الحديث عن المنهج التاريخي الذي ذكرت آنفا أنه المنهج الحاكم لدراسات عبد الله الحيدري بحكم النوع الأدبي الذي اختار أن يتخصص فيه طولا وعرضا وأعني به السيرة.

وإذا كان يهمنا في هذا المبحث أن نستجلي ملامح هذا المنهج لدى بحثه في الإعاقة والإبداع بوصفه نموذجا أو عينة نسلط عليها الضوء بشيء من التركيز فإننا هنا نلفت إلى ملامح هذا المنهج كما تجلت عند درسه لهذه القضية التي اختار أن يكون الأدب السعودي مجالها البحثي.

وأول هذه الملامح للتتبع التاريخي لمن كتبوا قبله في ذات الموضوع، حتى يستطيع أن يبني عليهم إيمانا منه بتراكمية العلم وعدم تكرار ما كتبه الآخرون.

والثاني، حرصه على إعطاء درس بيوجرافي لشخصية الأديب الذي تحدث عن الإعاقة لتبيان موقفه منها سواء أكان من المعوقين أنفسهم أم من غيرهم، وتختلف ترجماته بهؤلاء طولا وقصرا بحسب ما يقتضيه سياق الكتاب، وقد يعاود الترجمة الشخصية لذلك العلم كلما أتى ذكره في أكثر من سياق أو كتاب.

وثالث مظاهر الالتزام بالمنهج التاريخي وآلياته في البحث العلمي هو التوثيق العلمي لشتى المصادر والمراجع التي ينقل عنها موضحا نوع المصدر على عادة علماء هذا المنهج سواء أكان مصدرا مكتوبا أم شفاهيا كما سيتضح تفصيله في السطور التالية.

ويبدو لي أن هناك حافزا إنسانيا وتاريخيا عملا على أو ربما أسهما في طرق هذا الموضوع، هذا الحافز يتلخص في صحبته العلمية والإنسانية التي امتدت

سنوات بأحد أولئك المثقفين من المعوقين إعاقة بصرية وهو د. محمد بن سعد بن حسين الذي يبدو أن صحبة الحيدري به قد جعلته يتأثر بشخصية هذا الأستاذ، ويجعل اختياره للحديث عن العلاقة بين الإعاقة والإبداع أكثر إلحاحا عليه حتى أنجزه، يؤكد ذلك عندي عوده غير مرة للحديث عن شخصية محمد بن سعد حسين وتأثيرها في نفسه وبين طلابه من جهة، وما كتبه ابن حسين من سيرة ذاتية لنفسه، وهي لا شك تقع ضمن اهتمامات الحيدري العلمية في تخصصه عنها، ولا أعلم فربما كانت سيرته هي ما وجهت الحيدري إلى هذا التخصص فيما بعد. هذا كله رغم أن الحيدري ذاته قد نص في أحد كتبه(٨) أن تجربته في العمل لجمعية الأطفال المعوقين بالرياض سنة ١٤١٤ كانت باعثه في الاهتمام بقضايا الإعاقة.

في كتابه (السيرة الذاتية في الأدب السعودي) نرى الحيدري كثير العود إلى ذكر أستاذه محمد بن سعد بن حسين، وجاء ذلك في ثلاثة مواضع، الأول يتحدث عن تجربة محمد بن سعد حسين في كتابته لسيرته التي اختار لها عنوان (من حياتي) يقول عنها الحيدري:

(لا تزال هذه السيرة الذاتية حتى كتابة هذه السطور مخطوطة في أدراج صاحبها، وتبلغ صفحاتها نحو ألف وخمسمائة صفحة و هناك ملحقات قد تصل بالكتاب إلى أكثر من ذلك. كما أخبرني شخصياً.

ولربما بدأ بكتابتها إثر إجادته الضرب على الآلة الكاتبة على طريقة المبصرين، التي يصفها بأن لها أثراً كبيراً في حياته الفكرية و أن لها الفضل. بعد الله. في تدوين ما يخطر بباله من شعر ونثر.

وشاهد ذلك أنه ذكر للمؤلف في إجابة له عن أسئلته أنه كتب جملة من ذكرياته «في وقت مبكر جداً من أيام الطلب، وأنه عاد إلى كتابة تلك الذكريات منذ ثلاثين عاماً تقريباً ولكن في فترات متقطعة ما زالت تتوالى في صورة ملحقات.

وفي سؤال من المؤلف للكاتب عن سبب التسمية، وهل ثمة دافع وراء حرب الجر (من ..) الذي يدل على التبعيض، مما قد يعني إغفال فترات من حياته عمداً

نتيجة محاذير اجتماعية أو سواها قال: «ليس في حياتي من الأحداث ما يدعو إلى الحذر من تدوينها، وإنما أتى حرف التبعيض في «من حياتي» تلافياً لما قد يُنسى من أحداث، وبخاصة في الفترات التي لم أتجه فيها إلى تدورين بعض الذكريات، ثم إن تدوين جميع أحداث حياة المرء حتى غير المتكررة يحتاج إلى أسفار.

وقد أتاح الدكتور محمد بن سعد بن حسين للمؤلف. مشكوراً. الفرصة للاطلاع على سيرته المخطوطة على مدى يومين من شهر شوال من عام ١٤١٥هـ بمنزله بمدينة الرياض، وأباح له تصوير ما يحتاج إليه في بحثه)(٩)

وفي النص السابق نلحظ أمرين أحدهما ما ذكرته منذ سطور عن تنوع مصادر توثيقاته العلمية، ما بين منشورة أو شفاهية أو مخطوطة كما الحال هنا في سيرة محمد بن سعد حسين، والأمر الثاني وصف هذه المخطوطة لمن لم يقرأها من حيث عدد صفحاتها وما يتصل بها من ملحقات، ثم بعد ذلك علينا أن نلحظ الروح الصحفية من خلال ما أجراه من حوار مع ابن حسين.

والموضع الثاني الذي عاد فيه الحيدري إلى ذات الشخصية في هذا الكتاب (ابن حسين وحكاية الأربعة يقول:

(وهذه المرة يتوقف الحيدري عند جانب آخر من سيرة بن حسين، وهذه الوقفة يخصصها لعوامل في تربيته كان لها أكبر الأثر في تكوين شخصيته، وهنا مظهر آخر من مظاهر تطبيق المنهج التاريخي الذي أرثى قواعده في فرنسا سانت بيف عندما ركز على عامل التربية لدى الأديب سانت بيف (١٨٠٤–١٨٦٩م) الذى وضع منهجاً فى تاريخ حياة المؤلف وسيرته الذاتية حينما أكد أنه يعتنى بـ (دراسة كل شخص ... لكى نقيم له وصفاً حيوياً حافلاً حتى يمكن أن ينزل فيما بعد فى موضعه الصحيح من سلم الفن)(١٠)، أما هيبوليت تين (١٨٢٨–١٨٩٣م) فهو واضع نظرية الثالوث التاريخى الذى يرجع إليه أى تأليف أدبى وهو

(الجنس، الحاضر، البيئة، أى الشخصية القومية والعصر أو الحقبة والظروف الاجتماعية العامة. والعمل الأدبى بهذا يصبح فى الغالب نتاجاً لهذه العوامل)(١١)

وهنا يؤكد بل يطبق الحيدري ما ذهب إليه علماء النقد التاريخي في تكوين شخصية بن حسين حينما يقول:

(تتراءى لنا شخصية محمد سعد بن بن حسين شخصية جادة تمتاز بالصبر والجلد وحب المغامرة وركوب المخاطر، والثقة بالنفس، بل والاعتداد بها.

وعندما يتأمل القارئ في سيرته الذاتية تتضح له بواعث هذه الصفات، وكيف تضافرت معاً في تكوين شخصيته. فأما الجد والصبر فمبعثه تربيته في الصغر، فما كاد يبلغ السادسة من العمر حتى أخذه أهله بنوع من الجد في التعليم والتوجيه والتهذيب، وذلك أنهم وجدوا أمامهم طفلاً أعمى غير قادر على أن يقوم بأي عمل ذي شأن في الحياة، إلا أن يكون طالب علم، فأخذوا في تهيئته لهذا الأمر) (١٢)

ثم تأتي الوقفة الثالثة في ذات الكتاب مع نفس الشخصية.

_ غير أن الحيدري هذه المرة وفي أثناء وصفه للسيرة الذاتية لبعض الأدباء السعوديين يتعرض مرة أخرى إلى محمد بن سعد حسين، غير أنه يلجأ إلى عنصر الموازنة، فيوازن بينه وبين طه حسين إذ جمعتهما معا عاهة العمى فتحت عنوان (طه حسين وبن حسين وشكوى متشابهة يقول:

(يبدو لي أن ظروف المكفوفين ونفسياتهم في العالم العربي متشابهة إلى حد بعيد، فإذا كان طه حسين قد شكا من حالة الإشفاق التي قد يبديها المقربون منه – كما سبق بيان ذلك فإن محمد بن سعد بن حسين يتفق معه في هذا الرؤية فنراه يقول: "كنت أكره أن أكون موضع المحسن عليه رغم أنه قد اجتمع علي أربعة الفقر والعمى، والغربة، والصغر؛ ثم الاعتداد بالنفس")(١٣)

هكذا يقع الحيدري على المتشابه بين علمين جمع بينهما أمر العاهة البصرية ليخلص إلى نتيجة قائمة على تحليل سيرتي الرجلين بأن المؤثرات

الشخصية والتاريخية وإن كانت متشابهة غير أن مزاج محمد بن سعد حسين كان أكثر تفاؤلا من مزاج طه حسين، وفي كتاب آخر نراه يتوقف عند محمد بن سعد حسين، غير أنه هذه المرة يقدم مراجعة لكتاب بن حسين (أصحاب البصائر) وعن هذا الكتاب وتجربة الحيدري معه يقول:

(من بين مراجعي كتاب أستاذنا الدكتور محمد بن سعد بن حسين «أصحاب البصائر: قراءة في أحوال المكفوفين وآدابهم الصادر في عام ١٤١٨هـ بالرياض. المقدمة يلفت المؤلف الانتباه إلى أن مادة الكتاب ليست موجّهة إلى المكفوفين وحدهم، ولكنها موجهة إلى كل قارئ تعنيه الثقافة أولا، ثم واقع المكفوفين، وهو واقع لا يدركه تمام الإدراك سوى قلة قليلة كما يرى المؤلف.

وقد اتجه المؤلف في الفصول من الأول إلى الرابع إلى الحديث عن جوانب أدبية وتاريخية تتعلق بالمصطلحات وتعليم المكفوفين وجهود المملكة في هذا الإطار، في حين خصص الفصل الخامس والأخير للترجمة لأعلام المكفوفين في القديم والحديث، من أبرزهم الترمذي وحسين المرصفي، وابن باز وطه حسين ومحمد العلائي.

وقيمة الكتاب أتت من زوايا عدة، فالكتاب جديد في موضوعه وشموليته وجمعه بين التاريخ والأدب والتراجم إضافة إلى أن المؤلف نفسه مكفوف؛ وبذلك استطاع أن غور نفسيات المكفوفين وحاجاتهم ، وأن يكون ناطقا بلسانهم، والكتاب قبل ذلك وبعده بقلم أستاذ جامعي وناقد معروف له عطاؤه الملموس في الساحة الأدبية، ما يؤكد أن الإعاقة البصرية لم تكن في يوم من الأيام عائقًا عن العطاء والإنتاج. وبعد، فإن أستاذنا المؤلف أشار إلى أن أي تنبيه مما فاته سوف يكون مصدر سرور مستحق للتقدير والشكر ولذلك كنت أتمنى منه التعليق على القصة التي أوردها الرازي في أسرار التنزيل، ففي ظني أنها مختلقة!، ومما كنت أحبذه في الكتاب تخريج الأحاديث الشريفة.

وعلى أي حال فإن هذا الكتاب قدم نماذج مشرقة من المكفوفين الذين تجاوزوا إعاقتهم وفاقوا كثيرًا من المبصرين، وصدق الله القائل: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ التي في الصُّدُور).(١٤)

_ والنص السابق يكشف لنا عن سمة التلخيص التي ذكرناها في المبحث الأول والتي استطاع من خلالها أن يقدم لنا زبدة الكتاب، وأهم ما يحمله من قيمة وفائدة، وهذا الصنيع من جانب الحيدري يكشف بدوره عن الحس الإعلامي الصحفي، وكذا الأدبي ففن مراجعة الكتب وتلخيصها فن له قواعده وأصوله التي لا يتقنها إلا من امتلكوا قدرة على تركيز القول وتصفيته إلى المهم داخله دون إخلال بموضوعه، وهذا الجهد قد أسهم فيه الحيدري، ولعل بعض كتبه(١٥) تشهد عناوينها بذلك الجهد.

هكذا طالت صحبة الحيدري مع محمد بن سعد حسين نموذجا أكاديميا وإنسانيا، ثم أديبا أسهم بالإبداع الشعري حول قضية الإعاقة التي كانت موضوع بحثه الرئيس.

_ وهنا ننتقل إلى سمة التوثيق التي صيغت بدقة لدى الوقائع والأحداث والنصوص المقتبسة وهى تكشف، فضلا عن كونها إحدى قواعد المنهج التاريخي والالتزام بالمنهج العلمي دقة الباحث والتزامه المنهجي، فالمطالع للحواشي التي أحال إليها عموما في كتبه ، وخصوصا في فصل الإعاقة والإبداع يجد حرصه على توثيق كل كبيرة وصغيرة وأمانة علمية ، ثم بعد ذلك كله معلومات لإثراء الموضوع، وإنارة ما جاء بالمتن، وقد جاء هذا في توثيق المصادر أو كشف معلومة عنه.

فعند ابتداء معرض حديثه عن حمد بن سعد حسين لا يفوته أن يذكر في الهامش جملا مختصرة تنير القاريء عن أصل هذه الشخصية، يقول في الحاشية: (من مواليد عودة سدير (شمال مدينة (الرياض) في الثلاثين من شوال سنة ١٣٥٢هـ، وبها نشأ وتلقى تعليمه الأولى، يحمل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨هـ، أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه،

يكتب في الكثير من الصحف والمجلات السعودية وله العديد من البحوث والمحاضرات والندوات في الأدب والاجتماع، كما أن له إسهاما متواصلاً في برامج الإذاعة والتلفاز، كاتب وشاعر و ناقد، وله أكثر من ثلاثين كتابا مطبوعا، ومثلها مخطوطا، منها: الأدب الحديث في نجد، الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية، المعارضات في الشعر العربي، أصداء و أنداء (ديوان شعر)، كتب و آراء (جزءان) (١٦). وحينما يستل جملة لم تنشر بعد يؤكد على مصدرها المخطوط ويقول ((٣) ورقة مخطوطة لدي أملاها . د. محمد بن سعد بن حسين تاريخها ١٤١٥/١٠/١٤هـ.)(١٧).

ويكشف عن مصدره حينما تعرض لشعر المعوقين الذين تحدثوا فيه عن إعاقاتهم كفاطمة العسيري التي ليس لها ديوان منشور، يعلق على بيتين لها كاشفا عن مصدره بقوله (حصلت على النصين من الزميل فوّاز اللعبون الذي نشر مطلع القصيدة الأولى في كتابه «شعر المرأة»)(١٨).

_ وفي بحثه عن العلاقة بين الإعاقة والإبداع تتجلى لنا مقدرة الحيدري على التحليل النقدي للمضامين والأساليب الشعرية لتسعة من الشعراء الضين كان موضوعهم الشعري حول الإعاقة، واللافت أن الحيدري فطن إلى المبدعين حول الإعاقة فقسمهم قسمين: الأول قسم كان المبدعون فيه معوقين يكتبون عن إعاقاتهم كمحمد بن سعد حسين وفاطمة العسيري،والقسم الثاني حول مبدعين من غير المعوقين كتبوا رؤيتهم عن الإعاقة.

والتحليل النقدي لما ساقه الحيدري من نصوص شعرية كشف بدوره عن سمة جديدة من سمات الحيدري التحليلية تعكس ذوقه الفني وحسه الجمالي، ولهذا الموضوع تفصيل ربما تأتي مناسبته في مقام آخر.

الهوامش:

١) عبدالله الحيدري، دراسات في الشعر السعودي، ص٥٧
٢) عبدالله الحيدري، دراسات في الشعر السعودي ص٩٨
٣) عبدالله الحيدري، دراسات في الشعر السعودي ص١٩
٤) عبدالله الحيدري دراسات في الشعر السعودي ص٢١، ص٢٢.
٥) عبدالله الحيدري: علي جواد الطاهر وجهوده في التأريخ للأدب في المملكة العربية السعودية، كتاب الدارة، الكتاب التاسع والعشرون، دار الملك عبدالعزيز الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.
٦) عبدالله الحيدري: ابن الثقافة وأبو الرواية حامد دمنهوري، مقالاته وشعره وقصصه، نادي مكة القافي الأدبيآ١٢هـ، مؤسسة الانتشار العربي، ط٢ ٢٠٢١م.
٧) عبدالله الحيدري: عبدالعزيز السبيل، مهندس الثقافة السعودية ملامح سيرة.. وشهادات وتغريدات، النادي الأدبي بالرياض، ط الأولى ٢٠١٩م،١٤٤١هـ .
٨) هوامش على الكتب، الانتشار العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م/١٤٣٩هـ، ص١٣٥
٩) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ص١٢٠، ص١٢١
١٠) النقد الأدبى ومدارسه الحديثة، ت. ستانلى هايمن، ص٢٠٦، ٢٠٧، ترجمة د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، وقد وضع بيف نظريته فى كتابه "أحاديث الاثنين" سنة ١٨٥٠م. وراجع أيضا:
_محمد عبدالحميد خليفة، النص الأدبي بين إشكالية الأحادية والرؤية التكاملية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الإسكندرية ٢٠٢٠م الباب الثاني.
١١) أصول النقد الأدبى، أحمد الشايب، ص٨٣، وانظر أيضاً مقالات فى النقد الأدبى، د. ابراهيم حمادة، دار المعارف، ١٩٨٢م.
١٢) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ص٤٠٣، ٤٠٤.
١٣) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ص٦٣١.

١٤) هوامش على الكتب ص١٣٦.

١٥) راجع على سبيل المثال كتبه مثل:

١) هوامش على الكتب.

٢) نظرات وشذرات، بحوث ومقالات وحوارات في السيرة الذاتية، الانتشار العربي، ط١، ٢٠١٨م.

٣) ملامح ورؤى، دراسات في الأدب السعودي، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠٢١م.

١٦) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ص١٢٠، ص١٢١ (راجع الحاشية).

١٧) نفسه (الحاشية الثانية).

١٨) دراسات في الشعر السعودي ص٣١ (انظر الحاشية).